الحجّ في أحاديث الإمام الخامنئي (مد ظله العالي)

قال الله الحكيم: ﴿وإذ بوّأنا لإبراهيمَ مكانَ البيتِ أن لا تُشرك بي شيئاً وطهّر بيتي للطائفين والقائمين والرّكّع السجود﴾.

شاءت الإرادة الإلهية النافذة أن تجمع المؤمنين مرّة أُخرى في منبثق التوحيد، ومشهد رحمة ربّ العالمين وفضله، وحول محور كعبة القلوب، وفي ساحة قبلة أرواح المسلمين في العالم ... فتفوّق النداء الملكوتي: ﴿وأذّن في الناس بالحجّ﴾ على كلّ الفواصل الطبيعية منها والمفتعلة المفروضة بين الإخوة المسلمين، ودفع مجاميع القلوب النابضة بالإيمان والآمال المشتركة نحو مركز التوحّد ووحدة الأمة.

منذ سنوات طوال سعت يد الجهل والعناد إلى أن تفصل الأسرة الإسلامية الكبرى عن حضورها العقائدي، وعن روابطها الإيمانية.

ولكن فريضة الحجّ السنوية تؤدّي دورها في تغذية الأسرة العريقة

الأصيلة بدرس التوحيد والوحدة ... وفي كلّ سنة تنفتح أزاهير جديدة، تزيد عمّا مضى، مبشّرةً بعودة ربيع الإيمان، والحياة في ظل الدين، والتآلف والتوادد بين المسلمين ... ومحبطة عمل الأعداء وما كانوا يأفكون.

إنّها لمعجزةُ الحجّ أن نرى الوشائج الفكرية والعاطفية والايمانية بين الشعوب المسلمة لمّا تنقطع أبداً، وأن التفاعل بين هذه الشعوب يزداد باطّراد رغم كلّ النزاعات والصراعات التي تختلقها وتبثها حكوماتها وأعداؤها.

أسرار الحج ورموزه أكثر من أن يحتويها مقال، غير أن بينها ثلاث خصائص بارزة تستطيع كلّ عين مستقصية أن تتعرّفها في أول نظرة:

الأولى: أن الحج هو الفريضة الوحيدة التي دعا ربّ العالمين الى أدائها جميع المسلمين ـ من استطاع اليه سبيلاً ـ ومن أرجاء العالم كافة، وصوب نقطة واحدة، وفي أيام معلومات، ليربط بينهم في ألوان من السعي والحركة والسكون والقيام والقعود.

﴿ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾.

الثانية: أن الهدف الأسمى في هذا العمل الجماعي والعلني والقلبي والنفسي هو ذكر الله:

﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلوماتٍ على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾.

الثالثة: أن الحج يعرض على شاشته المضيئة البيّنة تصويراً كاملاً لحياة

الإنسان الموحّد. وبعمل رمزي يلقّن المسلمين درس الحياة المتحركة الهادفة. منذ ورود الميقات وحضور ساحة الإحرام والتلبية والتروك حتى الطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف في محشر عرفات والمشعر وما فيهما من ذكر وتضرّع وتعارف، وحتى وصول منى وأضحيتها ورمي جمارها وحلقها، ثم العودة إلى الطواف والسعي ... يتلقّى المسلم فيها جميعاً دروساً واضحة بيّنة في الحركة الهادفة والجماعية والعارفة في ساحة التوحيد، وعلى درب الحياة وحول محور «الله» سبحانه.

الحياة في منهج الحج سير دائم بل صيرورة مستمرة نحو الله. والحج هو الدرس العملي الحي البنّاء الذي إن وعيناه يرسم لنا طريق حياتنا في صورة عملية مشرقة.